

(١٠)

حكاية اللحظة الساخنة بعد ٤٠ عام  
من ارتداء بدلة الشرف العسكرية!

obeikandi.com

يقول الجد لحفيده: إن الجنرال "السيسى" لم يكن يفكر فعلا فى الترشح عندما أنكر فى سلسلة أحاديث صحفية بعد ثورة ٢٣ يونيو مباشرة نيته أو رغبته فى الترشح للرئاسة.. كان يعنى ذلك تماما.. لم تكن مسألة الترشح واردة فعلا فى ذهنه.. ثم إنه يحب أن تتم الأمور فى أوقاتها وكان يحترم بدلته العسكرية ولا يريد أن يتجاوزها بالتوغل فى الميدان السياسى المباشر وكان صامتا فى ذلك حيث لم يعلن ترشحه رسميا إلا بعد أن تقدم باستقالته من منصبه كوزير للدفاع.. حتى لا يتم اتهامه بعسكرة الدولة.. ولعل لحظة خلعه للرداء العسكرى بعد ٤٠ عاما من الخدمة كانت من أصعب اللحظات على نفسه وكادت دموعه أن تخذله أمام الملايين ولكنه فعلها لأن الشعب طلب منه ذلك.. وبين رقة مشاعر الرجل ونظراته الواضحة الحاسمة.. وكلماته القليلة التى يختارها بعناية مغلقة بالصمت فى أحيان كثيرة.. بين هذا وتلك احتاروا فى وضعه وتحليل شخصيته.. وتكتب أمانى عبد الغنى عن تقديرات غريبة حول السيسى وقالت فى محاولة منها للكشف عن الجوانب الغامضة من شخصية الفريق السيسى، عمد ريموند ستوك، الباحث بمعهد أبحاث السياسة الخارجية بواشنطن Foreign Policy Research Institute، إلى استجلاء رأى روبرت سبرينجبورج الأستاذ بقسم شئون الأمن القومى بالكلية البحرية الأمريكية ومدير مركز الشرق الأوسط للعلاقات المدنية العسكرية، الذى استعان فى تحليله بالأطروحة التى كان السيسى قد أعدها أثناء دراسته بالولايات المتحدة الأمريكية عام ٢٠٠٦م، حول رؤيته بشأن الإسلام والدولة.

ويؤكد "سبرينجبورج"، الذى يعد أول من كشف عن أطروحة السيسى تلك، إنه على الرغم من كون الورقة المقدمة من السيسى مصنفة على إنها وثيقة سرية، فإن عدم اشتغالها على أى من أسرار الدولة المصرية، إلا إن هيئة الرقابة القضائية قررت فى أغسطس ٢٠١٢م الإفراج عنها والسماح بنشرها بموجب قانون حرية تداول المعلومات الأمريكية، ولولا ذلك لما خرجت تلك الوثيقة إلى النور.

وفى هذه الورقة البحثية يذهب السيسى إلى إنه "يوجد أمل فى تحقيق الديمقراطية فى الشرق الأوسط، وفى مصر تحديداً، على المدى البعيد، ولكن نموذج الديمقراطية الذى سيطبق فى مصر سيكون مغايراً لذلك الموجود فى الغرب"، وقصد السيسى بذلك إن الديمقراطية فى الشرق الأوسط لن تكون مبنية على مبادئ العلمانية وإنما على مبادئ الفكر الإسلامى. وفى ضوء تلك الورقة يرى سبرينجبورج أن السيسى، الذى وعد بعد عزل

مرسى باستعادة الديمقراطية خلال تسعة أشهر هي فترة المرحلة الانتقالية الثانية، لديه النية للاستئثار بالسلطة، وحذر من "أجندته الإسلامية" مؤكداً أن السيسي لن يستعيد "السلطوية العلمانية" التي انتهجها مبارك، ولكنه سيطبق نظاماً مختلطاً يجمع بين الإسلامية من جهة والعسكرية من جهة أخرى.

ويرى "ريموند ستوك" إنه على الرغم من تقدير السيسي، في أطروحته البحثية، للخلافة الإسلامية باعتبارها ما لها من فضل في توحيد العالم الإسلامي وإكسابه القوة والشموخ، إلا إنه أشار إلى استحالة عودة الخلافة الإسلامية مرة أخرى، بخلاف مرسى الذى يعتقد جازماً بعودتها، وإنها حتى لو عادت فإن السيسي يتمنى أن تكون عاصمتها القاهرة، وليس القدس كما يتمنى مرسى، الأمر الذى يبرز انتماء السيسي لبلاده وحبه لها. وعلى العكس من ذلك يرى كل من مايك جيغليو وكريستوفر ديكى، إن نشأته فى أسرة محافظة متدينة باعتدال تؤمن بمبادئ القومية، جعلت الاعتبارات القومية هى المحدد ذو التأثير الأبرز فى تصرفاته وهى الدافع الرئيس لما اتخذته من إجراءات أفضت فى نهايتها إلى عزل مرسى عن السلطة، ذلك لأن الفوضى الحاصلة والتردى الاقتصادى والاضطراب السياسى كانت قود الثورة الشعبىة التى أطاحت بمبارك، ومن ثم فإن استمرار تلك العوامل هى التى دفعت السيسي إلى التحرك ضد مرسى الذى فشل فى التعامل الإيجابى مع تلك الملفات الحساسة للدولة.

### القائد حورمحب: النموذج الفرعونى للسيسى

ويذهب "ريموند" ستوك بعيداً ليبحث فى أعماق التاريخ المصرى فى محاولة منه لعقد مقارنة بين السيسي وعدد من الشخصيات العسكرية التى تولت عرش مصر، ليخلص إلى أن أشدهم قريباً لمسلك السيسي هو القائد العسكرى حورمحب آخر ملوك الأسرة الثامنة عشرة، والذى كان يشغل منصب قائد الجيش فى عهد الملك إخناتون، أمنحتب الرابع، الذى حكم مصر خلال الفترة بين ١٣٥٣-١٣٣٦ ق.م، وأطلق على نفسه اسم "فرعون التوحيد"، حيث انشق عن عقيدة الكهنوت وانشغل عن متابعة اقتصاد البلاد وأمنها بملاحقة من لا يزال على العقيدة القديمة.

وكحال محمد مرسى، فقد حرص إخناتون على محاباة التابعين له وتنصيبهم فى الوظائف العليا بالدولة، الأمر الذى أدى إلى التدهور الاقتصادى والأمنى فسادت الاضطرابات

وعمت الفوضى والسخط الشعبى أرجاء البلاد، وعلى الصعيد الخارجى تهاون إختانون فى ضياع إمبراطورية الشرق الأدنى وذهابها للغزاة من دون محاولة واحدة للدفاع عنها، وهو ما يتشابه مع مسلك مرسى فى أواخر يونيو ٢٠١٣م حينما هدد بإعلان الجهاد ضد بشار الأسد، فى خطوة لم يرض عنها الجيش الذى ليس لديه أى نية للدخول فى حرب مع دمشق، كما سمح للبعض فى مؤسسة الرئاسة بإطلاق تهديدات بضرب سد إثيوبيا من دون استشارة الجيش، والأكثر خطورة تصريحه للرئيس السودانى عمر البشير بأنه سيتنازل له عن جزء من الأراضى المتنازع عليها بين البلدين، الأمر الذى دفع حورمحب إلى الإطاحة بإختانون، وتنصيب نفسه فرعوناً لمصر فى التاريخ القديم، ودفع السيسى إلى الإطاحة بمرسى مؤخرًا، ربما بانتظار أن يتبوأ مقعد الرئاسة فى الوقت المناسب على غرار سلفه حورمحب.

### إشكالية "الشعب يريد"

وإذا كان الوقت وحده هو الذى سيوضح ما إذا كان السيسى الذى يحاول اجتذاب تفاصيل المشهد السياسى باتجاه تشكيل حكومة تكنوقراط مدنية من اختياره هو بالفعل شخصية تنتمى للفكر القومى أم للفكر الإسلامى، وما إذا كان سيعيد لمصر مكانتها مثلما فعل حورمحب ويسعى إلى تعزيز الاستقرار والديمقراطية، أم إنه سيكشف لنا لاحقاً عن شخصية عسكرية تعسفية كانت تتخفى وراء ستار الديمقراطية لتحقيق مآربها بالوصول للحكم، فإن رأى العام الغربى منشغل بقضية الضغوط الشعبية التى تدعم ترشيح السيسى رئيساً لمصر، ولو بدون انتخابات وفقاً لما جنحت إليه بعض الحملات الشعبية النشطة فى هذا الإطار.

وعن ذلك عرض لأبيجال هوزلنر بصحيفة الواشنطن بوست مقالة بعنوان "المصريون يعدون السيسى للرئاسة"، تناول فيها الحملة التى انطلقت فى شوارع مصر، لجمع توقيعات الهدف منها هو إقناع الفريق أول عبد الفتاح السيسى بالترشح للرئاسة، حيث يجوب منظمو الحملة الشوارع لجمع توقيعات المؤيدين والأرقام الخاصة ببطاقات هويتهم، وقد نجحت الحملة، وفقاً لمنظمتها فى جمع أسماء حوالى تسعة ملايين شخص، أى ما يعادل ١٠٪ من إجمالى سكان مصر، لتأييد السيسى الذى وصفته الصحيفة بأنه "انقلب" على أول رئيس منتخب فى مصر.

أما "روث بولارد" بصحيفة "الجارديان"، فقد أشار، في مقالة بعنوان "كل العيون تذهب إلى السيسي وتسأله السلام"، إلى تصاعد نفوذ المؤسسة العسكرية داخل المنظومة السياسية في ضوء حقيقة مفادها إن السيسي بات في عيون المصريين بمنزلة المنقذ الذي سيعيد الأمن والسلام إلى أرض الاضطراب، وركزت الصحيفة على ربط المصريين بين صورتى الفريق السيسي والرئيس الراحل جمال عبد الناصر، لإقناعه بالدخول إلى معترك السياسة لاستعادة أمجاد الحقبة الناصرية.

وإلى جانب الاضطرابات وحالة العنف السائدة في مصر يوضح بولارد إنه على الرغم من رفض جماعة الإخوان المسلمين وحلفائها لأفعال السيسي ووصفهم لها بالانقلاب على الشرعية، فإن حالة الانقسام التي باتت تمثل سمة من سمات الأحزاب السياسية في مصر تشكل تربة خصبة لصعود شخصية من المؤسسة العسكرية نجحت، إلى حد كبير، في استقطاب دعم شعبي لها مكنها من أن ترسخ وجودها داخل الفراغ الحاصل في السلطة والذي أحدثه ذلك الانقسام.

ويشير "بولارد" في ذات السياق إلى تمتع السيسي نفسه بكاريزما خاصة لدى المصريين، مكنته من أن يضع نفسه في قالب شخصية عبد الناصر ليصبح انعكاسا لصورة الجنرال الراحل في أذهان المصريين، وكمثل أنور السادات ظهر السيسي بمظهر الشخص الورع الذي يخاف الله ويحافظ على مظاهر التدين التي تمثل لدى المصريين قدسية خاصة.

ترى قطاعات واسعة من المصريين، وفقا لأبيجال هوزلنر، إن مصر بحاجة إلى حاكم قوى، يكون ولاؤه للشعب وليس لفرد أو جماعة، وأن يكون غير طامع في سلطة، وفكرة الطمع في السلطة هذه هي التي تجعلهم يشبهون السيسي بعبد الناصر الذي تنحى عن منصبه بعد هزيمة ١٩٦٧م ليعود إليها بضغط شعبي، ومثلما خلس مصر من الحكم الملكي وشن الحرب على القوى الغربية العظمى، وأمم قناة السويس، فإن السيسي، وفقا لمؤيديه، خلس مصر من التبعية للولايات المتحدة من خلال الإطاحة بمحمد مرسي، حيث يعتقد الكثير من المصريين أن الولايات المتحدة تدعم جماعة الإخوان المسلمين، والكثير من المصريين يتوسمون في السيسي القدرة على إعادة مصر إلى مكانتها، لذلك ترى صوفيا جونز إن قرار الولايات المتحدة الأخير بتعليق بعض مساعداتها إلى مصر قد أضاف للسيسي زخما شعبيا جديدا، وجعل منه بطلا قوميا، حيث رحب المصريون بقرار التعليق واحتمالية القطع ورأوه خطوة جادة على طريق تحقيق الاستقلال السياسي لمصر.

## الرهانات الخاسرة: رئيس على كل الأحوال

وفى سياق متصل يشير المعهد الدولى للدراسات الاستراتيجية فى ورقة بحثية بعنوان "مصر: تغيير السياسات تحت سيطرة الجيش" إلى تغيير ميزان القوى فى مصر وتحول السياسات العامة تحت حكم الجيش وكيف ستضرب المؤسسة العسكرية بجذورها فى معترك التنافس الانتخابى القادم، وتحاول أن تعلقى من رصيدها الشعبى مشغلة فى ذلك على وتر الكرامة ومشاعر العزة القومية، ومعتمدة فى خطابها الإعلامى على تمصير الإسلام وإظهار تبنيها النموذج المعتدل منه على عكس ما فعل الإخوان المسلمون، وإبداء إمارات الولاء للشعب، ولعل المظهر الذى يخرج به السيسى على الشعب مرتديا عباءة حمال عبد الناصر تبرز هيمنة المؤسسة العسكرية على السلطة المدنية، ما دفع العديد من المصريين للالتفاف حول المؤسسة العسكرية لاستعادة النظام العام.

والسؤال الأجدى بالطرح فى هذه المرحلة ليس هو هل سيترشح السيسى للرئاسة أم لا؟ ولكن هل سيحكم السيسى البلاد بشكل مباشر من خلال خوض الانتخابات الرئاسية القادمة والفوز فيها، أم إنه سيعزف عن الترشح وسيؤثر البقاء بنفذه وسطوته فى الخلفية ومتابعة المشهد من بعد تاركًا رئيس الجمهورية وحكومة تكنوقراطية تدير شؤون البلاد وتبقى فى الصدارة؟

أجاب عن هذا التساؤل معهد كارنيجى للسلام فى ورقة بحثية أعدها الباحث سكوت ويليامسون بعنوان "ضعيف للغاية... ومتأخر للغاية: رهان المعارضة الليبرالية فى مصر" شدد فيها، بداية، على خطورة عودة النفوذ العسكرى على العملية الديمقراطية. ويشير الباحث إلى إنه على الرغم من أن التعاون مع الجيش أتاح لليبراليين هزيمة خصومهم الإسلاميين، على الأقل فى الوقت الحاضر، إلا أن رهانهم على حسان العسكر حمل فى طياته خطرا كبيرا يتمثل فى تجدد السطوة الأمنية على حساب القيم الديمقراطية التى تعد المسعى الأكبر لعدد كبير من الأحزاب العلمانية والناشطين الليبراليين فى مصر.

وبعد أكثر من ثلاثة أشهر على عزل مرسى، يستحيل الخطر المحتمل، فى نظر ويليامسون، باديا للعيان فى ظل حملات التصييق على الإخوان المسلمين ومعارضى الانقلاب بشكل عام، فى مشهد يعيد إلى الأذهان إحياء الدولة البوليسية التى تتجلى مظاهرها فى الإجراءات القانونية والمؤسسية الحالية، ولاسيما قانون الطوارئ الذى أعيد فرضه من جديد، وهى الأجواء التى تتزايد فيها التكهنات وترجح احتمالات ترشح السيسى كونه

الشخصية الأكثر قبولا وشعبية في الوقت الحالى، الأمر الذى يعزز من مخاوف عودة الدولة البوليسية بكامل سطوتها القمعية، وفقاً للباحث.

ولذلك يرى "ويليامسون" أن هذا بدوره دفع بعض رموز العلمانيين إلى التعبير عن معارضتهم، على استحياء، لفكرة ترشح السيسى للرئاسة خوفاً من بلوغ شخصية عسكرية سدة الحكم، ومن بينهم حمدين صباحى الذى تراجع عن دعمه لترشح السيسى، وكذلك فريد زهران نائب رئيس الحزب المصرى الديمقراطى الاجتماعى، وبعض أعضاء حركة تمرد الذين رفضوا التعليق على تصريحات القيادى بالحركة محمود بدر بأن تمرد ستدعم السيسى رئيساً لو لم يعود الأمن إلى البلاد.

ووفقاً لويليامسون، فإن أوان التعبير عن الرفض قد فات، حيث إن القوى الأمنية، وفي القلب منها الجيش، قد أرسيت لنفسها قواعد سيكون من الصعب العودة عنها، ذلك إن قيام الجيش بعزل مرسى أضفى نوعاً من المشروعية على تدخل المؤسسة العسكرية فى إدارة البلاد والتأثير فى كل الرؤساء القادمين، وخاصة ممن لا يتمتعون بشعبية واسعة، وعلى الجانب الآخر فإن العنف الذى تم التعامل به مع مؤيدى مرسى سيؤثر فى أى حملات تعبوية شعبية فى المستقبل، من غير المؤيدين لمرسى، ضد المؤسسة العسكرية، وبذلك يصبح الليبراليون هم الطرف الخاسر فى رهانهم على التحالف مع الأجهزة الأمنية التى ذهبت لصالح الدولة البوليسية الصاعدة التى تتمتع بالفعل بالقوة، وكل المؤشرات تؤكد أن الجيش والشرطة سيمضيان قدما فى تثبيت سلطتيهما بالشكل المناسب داخل المنظومة السياسية فى مصر لأجل غير مسمى.

وبعد أشهر من هذا المقال.. وبعد فتح باب الترشح للرئاسة.. صدقت التوقعات ولم يستمر فى السباق الرئاسى أمام السيسى سوى حمدين صباحى وقد كان أعلن فى لحظة حماس أولى بعد ثورة ٣٠ يونيو إنه لا يمكن أن ينزل إلى ساحة الانتخابات ويواجه.. بطل الثورة أمام الصندوق.. وبصرف النظر عن الأسباب التى جعلته يغير رأيه وأبعد من ذلك ينزل واثقا برغم الظهير الجماهيرى العريض مع السيسى.. لكنها حساباته التى يجب احترامها.

## هل من مزيد

ويريد الحفيد أن يعرف المزيد مما كتبه وقاله الأمريكان والغرب عموماً عن السيسى.. ويجيب الجد الذى يبدو أنه حفظ أرشيف الحكاية كلها فى رأسه حيث قال فى شهر

أكتوبر من عام ٢٠١٣م.. ذكرت صحيفة "وول ستريت جورنال" الأمريكية إن الفريق أول عبد الفتاح السيسي، عاد فى ثوب "عبد الناصر" وأذل أوباما وحرمه من أى مكاسب داخلية على الأرض الأمريكية، حيث إن متداولى الأسهم فى البورصات العالمية أصبحوا يدركون اليوم، أكثر من أى وقت مضى أنه قد أصبح فى مصر "ناصر جديد" يصر على إذلال أوباما.

وأضافت الصحيفة أن عبد الفتاح السيسي، يدرك أن الإدارة الأمريكية الحالية باتت مكشوفة أمامه تماما، ولذا قرر أن يعمق من خسارة "أوباما" بالضغط على أكثر ما يثير اهتمام المواطن الأمريكى وهو الاقتصاد. فبينما كانت التوقعات تشير إلى مرحلة انتعاش تعززها حالة سوق العقارات والاحتياطي الفيدرالى وتراجع النفقات العسكرية فى الشرق، قرر "ناصر الجديد" أن ينهى كل ذلك دون استخدام السلاح، فقط عبر الميكروفون الذى دعا فيه الشعب المصرى للنزول يوم الجمعة للميادين لتفويضه للقيام بعمليات أكثر قسوة ضد الإرهابيين، وهو ما يعنى أن هناك عمليات واسعة ستدور ليس بعيدا عن قناة السويس وهو ما يعنى إحداث حالة واضحة من إرباك سوق البترول وتكبيد الولايات المتحدة الكثير من الخسائر خلال أيام قليلة. وأشارت الصحيفة إلى أن ما خسرت أمريكا صبيحة خطاب "السيسى" وبسبب تصريحاته ودعوته يفوق حجم المعونة العسكرية الأمريكية التى تقدمها لمصر ببضع ملايين من الدولارات، لكن رد فعل "أوباما" جاء صينيانا بامتياز، حيث أوقف تسليم صفقة طائرات "إف ١٦" بصورة عقابية لم يؤيده فيها الكونجرس الذى يتحمل من تصرفات أوباما الأخيرة، والتى كان من ضمنها إصرار أوباما على إبقاء برامج التجسس مشيرة إلى أن السيسى جعل الأمريكان يظهرون بهذا المظهر الهستيرى ليزيد فرص حصوله على المزيد من التنازلات الروسية خاصة فيما يخص أسعار الطائرات البديلة وصفقات القمح، ما يعنى أنه بدوره يمارس دورا يراه بدقة لتكبيد الاقتصاد الأمريكى خسائر تفوق حجم المعونة العسكرية، بينما يتجاهل أى اتصالات من الإدارة الأمريكية.

وبعد أيام قليلة من ثورة ٣٠ يونيو نشرت وكالة الأنباء الفرنسية تقريرا وصفت فيه السيسى بأنه رجل مصر القوى.. وأوضحت أن معظم رجال الإعلام والصحافة الذين اقتربوا منه أكدوا أن همه الرئيسى منذ أن تولى وزارة الدفاع أن يرد الاعتبار للجيش المصرى وإنه يشعر بالأسى من هتاف "يسقط حكم العسكر" التى ارتفع أثناء فترة المجلس العسكرى

بقيادة المشر طنطاوى.. وقد كان قريبا من قيادات الإخوان ويعرفها جيدا حتى إن البعض عن اختياره كوزير للدفاع اتهموه "بالأخونة" نظرا لتدينه وجديته وبعد أيام قليلة من ثورية ٣٠ يونيه أكدت وكاولة "الأسوشيتدبرس" أن المصريين الذين يبحثون عن زعيم يعيد للأمة ترابطها وجدوا ذلك فى شخص وتقدم اليه بعرضية يطالبونه فيها بالترشح.. ولكنه قابل ذلك بهدوئه المعتاد حيث لم يكن الظرف مناسباً.. وقد تحول الأمر إلى حملة شعبية بدعم من شخصيات عديدة بينما تعالت بعض الأصوات تطالب برئيس مدنى.. وأشارت الوكالة الأمريكية إلى أن وسائل إعلام الدولة والمحطات التليفزيونية المتعاطفة ساعدت على دعم شعبية السيسى، هذا بالإضافة إلى الأغاني الشعبية التى تشيد به وبالجيش وصوره التى تنتشر فى شوارع مصر.

وتقول "الأسوشيتدبرس" إن السيسى استطاع خلق صورة شعبية لنفسه، بصفته الرجل القوى الذى أنقذ الأمة، وفى نفس الوقت الرجل صاحب الكلام المعسول الذى يضع مصالح الشعب فى قلبه، وهو ما ساعد على استعادة هيبة الجيش بعد فترة من الانتقادات الواسعة عندما حكم المجلس العسكرى برئاسة المشير طنطاوى البلاد، إذ إن أولئك الجنرالات ينتمون لجيل أقدم كثيرا من جيل السيسى.

وأشارت إلى أن فكرة ترشح السيسى للرئاسة لقيت استحسانا بين عدد من كبار القيادات السياسية، ومن بينهم مرشحو الرئاسة السابقون عمرو موسى وحمدى صباحى وأحمد شفيق، كما يبدو الرئيس الأسبق حسنى مبارك مؤيدا للفكرة، ويظهر ذلك فى التسجيلات الصوتية المسربة التى انفردت بيثها صحيفة "اليوم السابع".

وتضيف أن هناك شعورا بين المصريين بالحاجة إلى زعيم قوى، بعد ثلاث سنوات من الفوضى والتدهور الاقتصادى، كما أنه لم يبرز زعيم محتمل من بين مجموعات الشباب والأحزاب الجديدة بعد سقوط مبارك يمكنه تحقيق المطالب الشعبية بالتغيير.

ويؤكد الجد أن تقرير الوكالة الأمريكية يكشف أكاذيب الإدارة الأمريكية والإخوان من أن السيسى قام بالانقلاب كما يسمونه وصولا إلى كرسى الحكم.. على حساب مرسى الرئيس الفاشل كما أطلق عليه الملايين من المصريين.

